

**ليلة نور معتمة**

(فرحة ما تمت)

الطبعة الأولى: 2020  
الكتاب: ليلة نور معتمة (فرحة ما تمت)  
الكاتبة: د. علا عبد العزيز رياض  
تصميم الغلاف: محمد مجاهد  
تدقيق لغوي: نرمين عياد  
إخراج فني: محمود عنتر  
رقم الإيداع: 7963 / 2020  
الترقيم الدولي: 5 - 43 - 6689 - 977 - 978

---



٩ شارع المغفرة المتفرع من شارع العشرين  
بجوار مدارس حسام الدين الخاصة - فيصل - الجيزة

موبايل: 01126026691 - 01061813345

01009823984

# ليلة نور معتمدة

(فرحة ما تمت)

نوفلا

د. علا عبدالعزيز رياض



## إهداء...

إلى قدوتي الأولى ونبراسي الذي أنار لي دربي، إلى من  
أعطاني بلا حدود، من رفعت رأسي عاليًا افتخارًا به؛ أبي  
الغالي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.  
إلى التي رأني قلبها قبل عينيها، واحتضنتني أحشاؤها  
قبل يديها، إلى شجرتي التي لا تذبل، إلى الظل الذي آوى  
إليه في كل حين؛ أُمِّي الحبيبة حفظها الله.  
إلى الذين هم ينبوع من العطاء، من وقفوا بجانبني  
وقدموا لي الكثير حفظهم الله زخرًا لي؛ إخوتي وأخواتي.  
وإلى كل أصدقائي أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع.

الكاتبة

د/علا عبد العزيز رياض

أحداث هذه الرواية من الواقع ولكن السرد القصصي خيالي؛ حيث يقوم المؤلف بتغيير المادة الخام وتحويلها ومزجها بالخيال لصياغة مادة جديدة، تختلف عن المادة الخام إلى حد كبير، وباختلاق المواقف والشخصيات الوهمية والتلاعب بها وتحريكها حسب رؤيته.

د/ علا عبد العزيز رياض

في اليوم الثاني للسنة الميلادية الجديدة ٢٠١٣، كانت عقارب الساعة تزحف في بهجة وسرور. ونحو الخامسة مساءً، بدأ ظهور الغيوم المعتلية في السماء، وغياب أشعة الشمس الساطعة، واكتست بالغروب الساحر، وسقوط الأمطار الغزيرة على الأرض الممتدة، وانبعاث رائحة المطر في الهواء الطلق؛ فنبضت الحياة على الرغم من شدة البرودة أمام قاعة (فرحة العمر)، بتوافد المدعوين، في سيارات من ذوات الدفع الرباعي، ثم اشتعلت الزغاريد، وانطلق قرابة مئتي صوت مرة واحدة فارتجت الأرض مع سقوط المطر ورعد السماء. لمع الإسفلت عند مدخل القاعة بفروع الأنوار، وتتابع عديد من دبيب الأقدام إلى تلك القاعة بالطابق الأرضي؛ إذ كان العريس (نور) قد دعا جميع أقاربه، ووصل ما انقطع بينه وبين بعض الأصدقاء، وأرسل بطاقات دعوة إلى معارف لم يكن قد رآهم منذ زمن طويل، ليجمع أكبر قدر من النقود، الذي سيكون فاتحة خير أو "سلفاً وديناً" كما يقال، لتجهيز مشروعه الخاص "محل للهواتف المحمولة".

انتظر الأهالي والأصدقاء حضور العروسين، أكثر من ساعة؛ حيث ذهب العريس ليصطحب عروسه من عند الصالون الحريمي "الكوافير"؛ حيث كانت تنتهياً للعرس، وأمام إصرار صاحبة الصالون (مدام غادة) إنها من يجمل (ليلة)، كنوع من النقوط، (ودا أقل واجب)، فهم جيران السعد والهنا، فصالون (مدام غادة) يقع في مواجهة عمارة والد العروس. فقامت بتزيين شعر العروس وتكحيلها ونثر الأبيض على وجهها وصبغ شفاهها. وبعد الانتهاء تحرك العريس وانطلقت الزغاريد دفعة واحدة من كل الحناجر، متوجهين إلى قاعة (فرحة العمر)، التي تقع على مسافة خمسة كيلومترات من عمارة والد العروس.

عندما وصل العروسان إلى مدخل القاعة، استقبلتهما زفة مشاعل بمزمار وصوت رنان للزغاريد، فهذه (حبيبة)، الأخت الصغرى للعروس صوتها عذب وصرختها قوية من كثرة ما زغردت في أعراس الآخرين. وهذه (چاكلين)، صديقة العروس، جميلة، وحلوة الحديث، ومهزارة، ولها

مع (چون) قصص وحكايات، تزغرد لأنها تفرح لصديقة عمرها. والجميل عندما تزغرد أم العريس فيرد عليها النساء، وتسمع زغاريدهن فتزغرد من جديد.

وعندما دخل العروسان القاعة البسيطة، فأشد ما حاز الإعجاب هو تألق (ليلة) بفساتنها الأبيض الطويل، الذي يميزه دانتيل مرصع بالكريستال الفضي والوردي الفاتح.. والذي استأجرته بمبلغ لا بأس به، وكانت طرحة الفستان مسرفة الطول؛ فترفعها لها أختها (حببية) التي كان ثوبها ذا لون أصفر باهت، تحليه باقة من ورد صناعي أحيط بالخضرة.

العريس (نور) متألقاً هو الآخر في بدلته البيضاء، وجورييه الأبيضين، وحذائه الأبيض اللامع، وكأن العروسين ملكان يهبطان من السماء.

افتتح العرس بموسيقى لأغنية (طلّي يا حلوة) لماجدة الرومي على دي چي، وكان الجو مغطى بالليزر المركزي والدخان، بعدها شرعا العروسان في الرقص ببطء، ثم بسرعة جنونية، وأخذا يدوران فيدور معهما

كل مَنْ حولهما، حتى التف ذيل ثوب العروس حول  
بنطلون العريس، فالتصقت أرجلها. ركز (نور) بصره  
في عينيها الزرقاوين.. وخصلات شعرها المتسدلة في  
تموج على كتفيها. رفعت هي بصرها نحوه، وسرعان  
ما أحست بنشوة جميلة تسري في أعصابها وتوقفا عن  
الرقص لحظة، ثم استأنفا.. وسط تحديق المدعوين.

مع ظهور المطرب الشعبي والراقصة على مسرح  
القاعة "البست" بدأ (بوله)، نبطشي الفرحة بتحية والد  
العريس، (أبو الواجب كله الحاج أبو نور يهدي العريس  
١٠٠٠ شمعة)، ليفتح باب النقوط، الذي أصبح فرضاً  
وواجباً ولا يستطيع أحد من المدعوين الفرار منه،  
وقيمة مبلغ النقوط الذي يؤدي هبوطاً أو نزولاً مرتبطة  
بشخصية دافعها أو بمقدرته المالية، أو ما بينه وبين  
العريس من واجبات سابقة. وتميز (بوله) بخفة الظل  
والفهولة، وكل ما يقوله يكون على سبيل التحفيز لمقدم  
النقوط من أجل دفع المزيد منها، فهو يعمل على وتر  
حساس هو رغبة الحاضرين في المباهاة بتقديم النقوط

(استعراض عضلاتهم)، فيعمل بينهم حالة من المنافسة مستغلًا رغبتهم في الاستعراض.

بعد تحية والد العريس، ردد (بوله) أكثر من مرة في مكبر الصوت اسم الحاج (درغام)، أغنى أغنياء المنطقة، كلما شعر هذا الأخير بهيبته ووقاره.

مع كل رعشة من جسد الراقصة وكل حركة أو إيماة، أو نظرة في تناغم مع إيقاع الموسيقى التي تصاحبها، ينهض (سليم)، صديق العريس إلى "البست" للنقوظ ويفوز برقصة معها، متحرّشًا بها، مرددًا (بوله) في مكبر الصوت (٧ عماير أدب، ٣٠٠ شمعة، ٣٠٠ شمعة)، بينما إذا سعد (چون)، ابن عمي (إسكندر المسيحي)، صاحب محل المصوغات في المنطقة هو الآخر إلى "البست" من أجل أن يفرح بليلة العمر مع صديقه، وقد امتاز عن الباقيين - كان له بشرة المترفين.. بشرة يضي عليها رونق الصحة والغنى.. أما نظرته للراقصة، فكانت تعبر بعصبية حدة الشهوات التي تجد أحيانًا يومًا ريًا وإشباعًا! وهتف (بوله) بحنكة ودهاء، في

مكبر الصوت (أغنى أغنياء الصاغة.. الباشا.. الأخ  
والحبيب والصدیق چون، ٥٠٠ شمعة منورة).  
وفجأة ظهر على "البست، عمي (مجدي)، الرجل  
البسيط، صاحب كشك السجائر في المنطقة، منتزعاً  
بيديه المرتجتين مكبر الصوت من (بوله)، فقد انتهج  
لنفسه طريقاً مختلفاً فيما يتعلق بأداء النقط، فأعفى  
نفسه لأن ظروفه المالية ضيقة (لا يملك إياقوت يومه)،  
مردداً في الميكرفون ربنا يسعدكم ويهنئكم، "قولوا آمين"،  
ودموه حبيسة وراء قضبان الفقر، ويعتبر عدم النقط  
منقصة في حقه.

كانت القاعة مزدحمة بالمدعوين، فكان المرء يرى  
منهم متكئين على جميع المائدات، وآخرين يقفون  
عند المدخل والباب، وصدیقات العروس كن يسيرن  
ضحكات، متوردات الخدود، فانتات. أما الأطفال فكانوا  
يمرحون ويلعبون هنا وهناك بملابسهم الجديدة..  
في أثناء فترة الاستراحة، قام أهالي العروسين بتقديم  
وجبات مغلفة، عبارة عن (قطعة كفتة، وقطعة من

(الخبز)، فصدّم المدعوون بخيبة أمل، ممصصون بشفاهم على هذه الوجبات التي لا تسمن ولا تغني من جوع. وقاما العروسان بخلع «الدبل» من اليد اليمنى إلى اليد اليسرى، وكان (نور) حاضر النكتة والفكاهة، وكان يرد في بشاشة، على ما وجهه أصدقاؤه إليه من غمزات وفكاهات ومجاملات. أما العروس، فلم يظهر عليها سلوك ثابت، فتارة تبتسم، وتارة صامتة، فهي عذراء يلجمها الخفر. كانت خيوط الفجر الأولى ترسم في الآفاق عندما انتهى العرس.. ودار الحديث لبضع دقائق، ثم تبادل الأهالي والأصدقاء التهاني وسط زغاريد النساء. وتأهبا العروسان لركوب سيارتهما المزينة بالورود، تحت رذاذ المطر.. وأخذا يستنشقان في نهم الهواء الرطب الذي أرسل في كيانهما انتعاشاً.. ودخلا إلى عش الزوجية الخاص بهما، وعبقت في أنوفهما رائحة الأثاث الجديد فقد تشاركا معاً بكل حب وطمأنينة ورضا في اختياره من «دمياط» المدينة الأشهر في صناعتها، كما أن بها أقل بكثير من أسعار المعارض الموجودة في

المدن الأخرى. أما الأشياء الرفيعة ومستلزمات الأفراح؛ فغالبًا اشترها العروسان من منطقة «درب البرابرة»، وهو مكان يتجمع فيه كل ما يتطلبه الزواج، فضلًا عن أسعاره التي لا تقارن بالبضائع نفسها المعروضة في الأماكن الأخرى، ولنشأة سوق «درب البرابرة» أكثر من رواية تاريخية، إحداها تقول: "إن هذه المنطقة منسوبة إلى قبائل البربر سكان شمال إفريقيا وبلاد المغرب، التي جاءت إلى مصر مع جوهر الصقلي في أثناء فتح القاهرة، واتخذوا هذا المكان محلًا لإقامتهم، ومع مرور الوقت تحولت إلى سوق خاصة لبضائع الزواج". ورواية أخرى تقول: "إن جماعة من البربر جاءت إلى القاهرة للعمل كخدم لدى «الباشوات» في أثناء حكم محمد علي باشا الكبير في بداية القرن التاسع عشر، ونظرًا لتعايشهم في شكل مجتمع صغير كانت إقامتهم في «درب البرابرة» الذي أخذ منها هذا الاسم".

وداخل غرفة النوم، انطلقت رحلة العشرة والألفة التي ستدوم إلى الأبد، مع إعلان أن الأيام المقبلة هي

أجمل أيام حياتهما.. وقالت (ليلة) بصوت خافت ونظرة ساحرة: "الحمد لله على نعمة حبك". وقال (نور)، وهو يمسك يدها بكل قوته وعنفوان شبابه: "اللهم اجمعنا على حبك في الدنيا والآخرة، آمين يا رب". وتوجه (نور) إلى السرير، وتسألته إليه (ليلة)! ثم فطنت إلى أنها كانت ترتعش من البرد، فخلعت ثيابها واندست تحت الأغطية بجواره، الذي بدأ حديثه المخدر وهو يهمس إليها، ويطلع على فمها، ثم على ظهرها قبلة بملء فمه، وقلبه مفعم بما سيناله في هذه الليلة من لذات (ليلة الدخلة)، وانبعثت الطمأنينة إلى نفسه، والراحة إلى جسده.

وتتنفس الصبح في سرعة، وقد ارتفع الضحى، أما ساعة اليقظة قد حانت، لكن أيّ من النوافذ والأبواب لم تفتح، وأيّ من العروسين لم يستيقظ، سوى نباح كلب من حين لآخر!

في عصر اليوم الثاني (ليلة الصباحية)، قام أهل العروسين بتحميل المؤن والكعك و«البسكويت» إلى العروسين، حاملين تلك الأغذية مما لذ وطاب في

«أسبته» مصنوعة من الخوص تغطيها «البشاكير» البيضاء، ليهنئوا ويباركوا ويطمئنوا. وبعد انتظار، أخذوا يطرقون الباب الخارجي طرقةً عنيفاً متواصلًا، وهم يقولون: "ماذا جرى! عروسان نموسيتهنم كحلي"، ويقول والد العريس: "اصحى يا بن الكلب، ليل الشتاء طويل!" وعاودوا ضربات باليد، ثم ضربات أرجل تهز الباب الكبير ذا المسامير.. بغير انقطاع.. والباب يظل مقفلاً، ولم يحاول أحد من العروسين أن يقترب من الباب. كان الأهل يتساءلون: "ماذا حدث لهما؟" وبعد اضطراب وقلق الأهل، تم كسر الباب، فأحدث فتحه قرقعة قوية. حدث هرج مفرع اندفع الأهل مسرعين إلى المطبخ، ثم إلى الحمام؛ حيث كانت تتبعث رائحة غاز خانقة.. وفجأة انتشر صدى الصراخ والبكاء: العروس غارقة في دماؤها في الحمام! وكان العريس يحتضر، نبضه غير متساوٍ وضعيف لا يكاد يسمع، أخذت قطرات العرق تتضح إلى وجهه الضارب إلى الزرقة، وأسنانه تصطك، وعيناه اللتان اتسعتا تنظران في غموض

حولها. وعلى سؤال من فعل بكما هذه الجريمة الشنعاء؟ لم يستطع أن يرد إلا بهزة رأس غير مفهومة، وما لبث أن قاء دمًا وازدادت شفتاه التصاقًا وتصلبت أعضاؤه.. وفارق الحياة! حتى هرع آخرون من (الجيران وبعض المارة صدفه في الشارع) إلى مكان الصراخ والنواح في مثل لمح البصر. عندئذ، أخذ الموجودون ينشرون خبر قتل العروسين، مذهولين، يضربون كفاً على كفٍ، وتسيل دموعهم حرقة على زينة شبابهما.. ويقولون في حسرة: " (نور) و (ليلة) وما أخذنا عليهما شيئاً في يوم من الأيام. إنهما لا يسيئان إلى حتى نملة!"

وتضاربت الأحاديث بين الحاضرين، فهناك من يقول: "إن العريس قتل عروسه، لأنها غير عذراء والشيطان شاطر"، وهناك من يقول: "إنهما مسمومان"، وهناك من يقول: "إنهما مخنوقان، أو كان هناك ماس كهربائي"، ومنهم من يرجع الأمر إلى الله ويقول: "الله أعلم!" حدث هذا كله (...) في ساعة تقريباً، والناس مشدودون ومذهولون قد جمدهم ما يحدث في أماكنهم. حتى تلقى

رئيس مباحث القسم بلاغًا من أهالي العروسين يفيد مصرعهما داخل حمام شقتهما، وسرعان ما توجه المقدم (أحمد فؤاد)، والضابط (أشرف مراد) إلى مكان الحادث، وتحرر محضر بالواقعة، وطلبت تحريات المباحث من الطب الشرعي تشريح الجثتين! أخذت أم العروس (السيدة أشجان) تتوح، وتندب حظ ابنتها العروس في صباحيتها التي لم تستمر إلا صباحًا واحدًا والصباح الذي يليه كانت في المشرحة.

ونُقِلت الجثتان إلى المشرحة، وسط صراخ وبكاء الأهل والأصدقاء، ورافقت الأم جثة ابنتها إلى هذا المكان الذي ينبعث منه رائحة عفنة بشعة، منبعثة من البواليع، تمتزج بهواء بارد تستنشقه من فوق مزيلة قدرة، ممتلئة بقطع من القطن المعفن، الملطخ بالدم الفاسد! وكلما استنشقت الأم هذه الرائحة النتنة؛ تندب وتلطم فخذها لطمًا قويًا. إن هذا النحيب الذي يعبر عن الحسرة والغضب، نفذ حكم الأعداء على ابنتها العروس. هناك دائمًا بعد موت إنسان عزيز، شيء يشبه الذهول الذي يملأ الجو، ذلك

لأنه من الصعب فهم هذا العدم الطارئ، والاستسلام لتصديقه، وشيء يشبه الندم يملأ أركان الضمير اليقظ، إذا آمن به واعترف بوجوده. فجأة انطلقت الأم جرياً إلى قسم الشرطة! وكأنها تريد إطفاء نار مشتعلة فيها، ووجد وكيل النيابة (شريف بيه) الذي تميز بالبراعة، ورقة الإحساس، وقوة الملاحظة، ودقة العمل، أن حضور الأم وإصرارها على مقابله، هو فرصة ذهبية، مقدمة على طبق من فضة لمعرفة ملابسات هذه الجريمة؛ فأمر بدخولها، فكانت تملأ المكان بضجيج صراخها ونواحها وهي تقول: "أنا أعرف القاتل.. القاتل هو.. ثم ظلت صامته بضعة ثوانٍ.. فتوجه إليها، وقال بإيماءة عطف: "احكي يا (سيدة أشجان)". قالت بصوت مختنق، ونظرة مهمومة إليه: "صدقني يا بني أبوها هو الذي شرع في قتلها، كما فعل من قبل مع أختها (زينة) وهي صغيرة.. خمسة وعشرون سنة وأنا كاتمة في قلبي حسرتي على بنتي (زينة) اللي قتلها أبوها من غيظه وانتقامه ليّ أنا شخصياً، لكي يحرق قلبي عليها، لعدم إنجابي الولد اللي

يحمل اسمه، اقبضوا عليه هو القاتل، قتل من قبل ابنتنا (زينة)، وبعدين أخذ معاه في الطريق (ليلة). أنا سأسرد مأساتي الحزينة، فهي بئر ليست لها غوار، حتى تنطفئ النار التي بين ضلوعي ويخمد بركان الهم والغم الثائر في صدري".

قدم إليها كوباً من الماء، وقال لها تفضلي احكي (يا سيدة أشجان)، نحن معك بكل آذان مصغية.. وشرعت في السرد قائلة: "كانت (ليلة) و(زينة) توأمين، وفي يوم مشؤم وكئيب في بداية السنة الدراسية للصف الثاني الابتدائي لهما، في ذلك اليوم وكما هي عادة (زينة) تلعب وتجري وتضحك وتتشاقى مع (ليلة)، وقد أخذت تلون بالألوان المائية والخشبية فرحة بأنها كبرت، وبأنها تدرس بالمدرسة، أخذتها اللهفة بالكتابة على جدران الحائط في غرفة أبيها؛ وإذ بها وهي على تلك الحالة من السعادة الغامرة، رآها أبوها، فأثاره الغضب من منظر تلك الرسومات والكتابات على الجدران، فلم يستوعب مع غضبه العارم والشديد الذي تملكه وأعماه.. ذهب إلى تلك

البراءة وأخذ يضربها بكل ما أوتي من قوة، ولم يكتفِ بما أحدثه من ضربات بجسمها الصغير؛ بل أحضر حبلاً ولف به يديها الصغيرتين الدقيقتين وحبسها بالمطبخ. وقال لي: "لا تدخل عليها ولا تطعميها، ولا تسقيها، ولا ولا ولا... جميع الأشياء محرمة على تلك التي كانت من قبل لحظات في أوج سعادتها وهي تكتب وترسم.. فقد أصبح كل شيء أسود، ولا ترى أي شيء ولا تتذكر أي شيء عملته سوى العقاب. وتركتُ مجبرة ابنتي هكذا إلى صباح اليوم التالي، ولكن قلبي أحس بها بذلك الصباح وذهبت لأراها وهي على نفس حالها كما تركتها بالأمس، فلمست جبهتها؛ واذ بها حمى، فهي تهذي من السخونة، ويدها المربوطتان لونهما مثل الليل الذي قضته بالظلام، فقد أصبح لونهما أسود.. وكان قلبي يتقطع عليها وعلى بكائها الذي يوقظ الجماد ويجعله ينوح بدلاً عنها. وأخذتها إلى أقرب مستشفى وهناك جاءت المفاجأة الموجهة والمؤلمة... يجب بتر يدي ابنتي! لأن الدم احتبس بها وقد أصبح بها مرض (الغرغرينا)، وبعد

إجراء العملية غادرت (زينة) الدنيا بصراعاتها، وآلامها، وقلقها.. تركتها لنا ورحلت.. بعد أن أودعت في كبدي وشمًا من الألم لا يمحي.. وفي قلبي جرحًا لا يندمل.. وفي عيني دمة متجمدة! حين كنت أراها بين أخواتها تتفجر نشاطًا وحركة، وتضج حيوية وإقبالًا على الدنيا بجمالها الأخاذ وذكائها الوقّاد، وعن تفوقها الدراسي وقدرتها على التعامل الرائع معي ومع أخواتها.. دون إدانة وعقاب للجاني؛ أبوها الجاني القاتل، وأنا كمان قاتلة لأنني تسترت عليه، خوفًا من الفضيحة وتشرد بناتي (عزيزة، وليلة، وحببية). استحملت فوق طاقتي وصبري إنسانًا مجردًا ومعدومًا من معاني الإنسانية، كزوج، وكأب لبنات يحتاجن إلى عطفه وحنانه، فنحن وإن كنا (أنا والبنات) في حالة سرور إلى أن يحضر (أبوهم) فتجد البنات يتنافرن متفرقات هلعات، فهو على الدوام عابس، ومكفهر ومتبرم وناقم.. كان يشتم ويسب، بكلماتٍ ساخطة ومكررة: (ربنا يخذكم، حمم بليني بيها يا رب).. على أن الأيام تتابعن، وأقبل ربيع في أعقاب

شتاء، وخريف في ذيل صيف.. وما لبث كل شيء أن تسرب رويداً.. أو بالأحرى، رسب في أعماق النفس كقتل جاثم! حتى عصفت بي أمراضٌ كثيرة منها الضغط والسكر والهشاشة، كما ضعف نظري كثيراً، وتحول لون شعري إلى اللون الرمادي مثل حياتي! بل هو أفتح منها قليلاً! لم أعترض قط على ما وهبني الله من البنات، فقد كنت أمارس حياتي كأمر وصديقة لهن. وبعد أن كبرن البنات تحولت حياتنا لرحلة عذاب نفسي وتهديد دائم من زوجي الذي ازداد جبروتاً وغلظة في التعامل معي ومع بناتي. على الرغم من أن الله قد أنعم عليه بنعمة الصحة والمال، فإنه ضيق الخناق علينا! وبما أنني امرأة ربة منزل، قررت ليلة أن تبحث عن عمل لتساعدني في تربية وتعليم أختها (حبيبة)، بينما (عزيزة) تهتم بشؤون البيت.. وبدأ القلق يمزقني على مستقبلهن، خصوصاً من تصرفات ابنتي (حبيبة)، الطالبة في معهد الخدمة الاجتماعية، كانت في مشاجرات دائمة مع (ليلة) بسبب سلوكها وتصرفاتها الطائشة.. وردد

وكيل النيابة: "كلامها وسلوكها وتصرفاتها الطائشة! اشرحي بالتفصيل" .. فقالت: "قبل زواج أختها (ليلة) بأسبوع اشتدت مشاجرة بينهما بسبب رجوع (حببية) إلى البيت في وقت متأخر وشعرها الأسود الجميل قد قُص إلى ما فوق رقبتها وصيغ بلون أصفر، وبدت تضع سماعة المسجل في أذنيها، لقد اختلفت تمامًا، بوضعها جميع أنواع وألوان المساحيق في وجهها وكأنها أتت من عرس أو حفلة. وكانت تثور (ليلة) وتقول ملعون أبو اللي اخترع الإنترنت، فكنت عارفة إنه السبب في خدش حياتك فأصرارك على دخوله إلى غرفتك، تسرب الشك إلى قلبي فقد رأيتك بعيني ذات ليلة وأنت تتحدثين مع شاب في وضع حرام وتمارسين معه الجنس الإلكتروني، وبعدها شاهدت فيلمًا إباحيًا. لعنة الله عليك وعلى أمثالك، وضربتها (ليلة) على خدها وقالت لها: "اصبري عليّ لما يعدي الفرح والخير ربنا هيعمله"، وكانت ترد عليها (حببية) بإيماءات، كما لو كانت تستحلف لأختها ورفعت حاجبها الأيمن وقالت: "إن كان ليك عمر يا حبيبتي!"

وصرخت الأم وطلبت من وكيل النيابة أن يقبض على زوجها وعلى ابنتها (حبيبة) ثم انهارت الأم وفاض سيل من الدموع من عينيها.. فقال لها وهو يدخن: "كفاك بكاء.. يا (سيدة أشجان) ووفري دموعك إلى الغد! هل لديك من أقوال أخرى؟" فأجابت: "نعم، بصوت مظلم.. ابنتي عزيزة!". سألتها: "ماذا تقولين؟" فأجابت: "ابنتي عزيزة.. البكرية!" فسألها بحماس وهو متلهف: "ماذا بها هي الأخرى؟" عزيزة، فاتها قطر الزواج بسبب الدراسة، وفي النهاية، لا نالت وظيفة ولا كسبت عريس. عزيزة، محافظة للغاية، على عكس حبيبة، ترفض أموراً عديدة، مثل سماع الأغاني علناً والحديث المطول بالهاتف، من نعم الله أنها كانت حريصة على دراستها وحريصة على الوصول إلى قدر مرضي فيها، كذلك من نعم الله عليها أنها أحببت القراءة بأشكالها كافة، وكثيرون يطلقون عليها (شخصية ناضجة، ومتفكرة، ومرنة، وفاهمة، وقادرة على تحمل المسؤولية...)، المهم، إنها تخرجت وفرحت بالتخرج ولم يبسر الله لها الحصول على

وظيفة طيبة، وبقيت تنتظر الوظيفة والعريس، وبالفعل!  
 طرق الباب شاب جميل.. ووسيم، ذو خلق ودين..  
 ولما علمت عزيزة بقدم العريس إلى البيت، انخرطت  
 في البكاء، وكأنها في مأتم.. في مشهد يستدر الدمع..  
 واعتلى وجهها الخجل والحياء ولبست أحلى ملابسها..  
 وتزينت وتجملت.. ويا ليتها لم تفعل! فالعريس لم يكن  
 قد جاء لها؛ بل كان يقصد أختها الوسطى (ليلة) وعندما  
 علمت بذلك، حاولت عزيزة أن تتصابر، أو أن تتظاهر  
 بالتجدد، ولكن الموقف كان أشد من ذلك كله.. فبعد  
 خطوبة (ليلة)، أصبحت عزيزة حبيسة غرفتها.. وأخذت  
 عزيزة، تزداد نحولاً، وخداها يزدادان شحوباً، ووجهها  
 يستطيل.. فكم من مرة كانت تنظر في المرآة فتبكي،  
 وكم مرة سمعت لمرأً وغمرأً؛ فانكسرت.. ابنتي عزيزة..  
 ترى الفتيات من حولها فرحات، فهذه مخطوبة، وهذه  
 تستعد لحفل زفافها، وتلك أم لطفلين.. أما هي، فحبيسة  
 غرفتها، وأسيرة أُنْتها.. فربما الغيرة والعزلة أصابتها  
 بفكرة الانتقام من أختها، فهي كانت تريد (نور) لنفسها!

وبعد أن انتهت الأم من حديثها الذي استغرق ساعتين، وكانت الساعة نحو العاشرة مساءً من يوم اكتشاف الجريمة نفسها. أمر وكيل النيابة بإحضار واستدعاء كل من والد العروس، وحضور كل من حبيبة وعزيزة، لمواجهةهم بما قالتها السيدة أشجان، قائلاً بصوت به نغم: "فتش عن النسوان، تعرف سبب الأحزان"، ممصماً بفمه قائلاً: "الله يرحمك يا توفيق الحكيم، كلامك كله حكم ومواعظ".

وفي تمام الساعة التاسعة صباحاً من اليوم التالي، وقفت كل من حبيبة وعزيزة، كل منهما على انفراد، أمام وكيل النيابة، وقال الأخير سائلاً حبيبة: "اسمك؟ وسنك؟ وعنوانك؟". فقالت: "حبيبة عادل فودة، عشرون عاماً، الفرقة الثانية، معهد الخدمة الاجتماعية، أقطن مع أسرتي الطابق الثالث من عمارة والدي... فقال بحرارة، وهو ينظر إليها بقساوة بعينه الدقيقتين المتعبتين.. سائلاً حبيبة: "ما هي طبيعة العلاقة بينك وبين المجني عليهما؟" فأجابته بكل ثقة: "أختي وحبيبتي ونور عيني،

ونور، إنسان مؤدب ومحترم، الله يرحمهما وينتقم من الظالم". أما هو فقد ثبت نظراته عليها، قائلاً: "كلام جميل، بس الذي نعرفه وأخبرتنا به السيدة الوالدة أشجان، مشاجرتكما معاً، وحديثك معها وأنتِ تقولين لها: «إن كان ليكِ عمر يا حبيبتِي!»! واستطرد قائلاً: "هو أنتِ كنتِ عارفة إنها هتموت، على الرغم أنها كانت تستعد لحفلة زواجها! ولا أنتِ بتتجمي وعليكِ عفريت.. ولا عزرائيل على علاقة بيك! لا داعي للإنكار". وقد نزل كلامه عليها كالصاعقة، وانهارت حبيبة، معترفة أنها كانت تكره أسلوب أختها معها في المعاملة، وتمقت سيطرتها.. أنا كنت مغتاظة منها وكنت أدبر لها مكيدة، وليس أدبر لها جريمة قتل! فتابع حديثها بفطنة قائلاً: "ما هي هذه المكيدة؟" قالت: "تعرفت على صديقة جديدة لي في المعهد، تدعى فاتن وصرت أقضي معظم وقتي معها، سواء في المعهد، أو في البيت حيث نتحدث عبر الهاتف طوال الوقت، وكانت أختي ليلة، تتصحني بالابتعاد عن هذه الصديقة فهي سيئة السمعة، ولم

أكثر لنصيحة أختي كعادتي، وتمسكت بتلك الصديقة أكثر وأكثر، صرت أزورها في منزلها وهي تزورني في منزلي، عرفت بأنها على علاقة بشاب يدعى مصطفى، وهو صديق لسليم ولنور عريس أختي الله يرحمها، هذا الشاب كان يسكن في الطابق الرابع لعمارة والدي. وفي يوم من الأيام، أخبرتني فائن بأن سليم مغرم بي وبقيت تلح عليّ وتحاول أن تقنعني بأنني يجب أن أعيش مثل باقي الفتيات، وأن أجرب الحب وأستمتع بحياتي وشبابي، وأحصل على المال بسهولة دون أن أحتاج لمساعدة أختي ليلة خصوصاً بعد مرض والدي، فالأمر لا يختلف كثيراً، فهو كان ينفذ يده من مصاريفي، ترددت كثيراً، ثم دفعني إلحاحها الشديد إلى التكلم مع سليم، بواسطة الهاتف، لقد كنت خائفة في البداية، ولكنني تعودت على التحدث معه بشكل تدريجي، ثم تعلقت به وتعودت على سماع صوته، ورؤيته دائماً سواء داخل شقته؛ حيث كنت أذهب إليه خلسة دون أن يراني أحد، أو على الإنترنت، فكانت أحاديثه شيقة ممتعة بالإضافة

إلى أنه أعجبني شكله ووسامته.. وقد عرفت ليلة بمدى علاقتي بسليم، ذلك لأن صديقتي العزيزة صارت تحكي للجيران عن مغامراتي مع ذلك الشاب متباهية «بأن مفيش حد أحسن من حد في الأخلاق»، فتأذت ليلة كثيراً وحاولت أن تتصحني بالكلام الطيب فلم أستمع لها.. وبعد أن فشلت جميع محاولاتها أخذت تهددني بكشف أمري أمام أهلي.. وخشيت من تهديدها فقررت أن أمسك عليها ذلة تجعلني أهددها بها فلا تستطيع أن تفضح أمري، فكرت كثيراً فهداني الشيطان اللعين إلى تلك الخطة الحكيمة فنفذتها بلا تفكير.. في البداية قمت بكسب ثقة ليلة، حتى تسمح لي الفرصة المناسبة لتنفيذ خطتي.. أخبرتها بأنني نادمة على علاقتي بذلك الشاب، وأني قررت الاستماع لنصائحها في التخلي عنه والاهتمام بدروسي.. وصدقنتي المسكينة! وصرت أحاول كسب رضاها و صداقتها.. غيرت معاملتي معها، وصرت أبتسم دائماً في وجهها وأمازحها فكانت سعيدة جداً بذلك، وهي مصدقة بأنني غيرت فعلاً، ثم اغتتمت

فرصة نادرة، عندما أخبرتني بأنها اشترت قميص نوم جديد سترتيه في ليلة دخلتها، فطلبت منها أن ترتديه أمامي لأشاهده عليها، وبمنتهى البراءة خلعت ثيابها، لترتدي ذلك القميص المثير.. وبمنتهى الخبث قمت بتصويرها بواسطة الكاميرا الموجودة على الهاتف الذي استعرته من سليم، ولم تنتبه ليلة لما قمت به بخفة، وبخفة شيطانية اعتقدتُ بأنني حققت نجاحًا رائعًا بعد أن صورتها وهي شبه عارية.. وكنت أعقد النية، في ليلة صباحيتها، بأن أعطي الهاتف إلى سليم الذي شجعني على تنفيذ الفكرة، وأحضر لي هاتفًا متطورًا جدًا يقرب الصورة ويبعدها تلقائيًا. قال وكيل النيابة لها وهو مستكر هذا السلوك الشاذ: "يا ستار.. دا أنتِ عدوة لدود، مش حبيبة! متسائلًا لماذا كل هذا؟! علشان خوفها عليك.. نجي يا رب".

فأجابته وهي منكسرة، ونادمة: "لكي أصبح مطمئنة، فإذا حاولت أن تهددني وتعكر عليّ صفو حياتي، كنت سأستغل هذا التصوير في أن أخرسها". فأجابها:

"تخريسيها ولا تفضحها بالحق.. الحمد لله إنها اتقنتت"، ولكن لا يوجد أداة جريمة ولا اتسمت، ولا ولا.. لما يطلع تقرير الطبيب الشرعي.. هو يضع خطأً أحمر أمام ادعائتنا. وفي هذه اللحظة أدركت حبيبة، مدى ظلمها وفجورها في حق أختها المسكينة، ثم أخرجت الهاتف من شنطتها وأعطته إلى وكيل النيابة.. وقالت له وهي متلهفة، وكأنها أحضرت الذئب من ذيله، أشك في چاكليين وچون، أصدقاء ليلة ونور، الله يرحمهما، كانوا يعقدون جلسات سرية مع بعضهم، وسمعتهم ذات يوم بالصدفة، لأنه كان ضجيج صوتهم يملأ المكان، سمعت ليلة ونور يقولان في نفس واحد إلى چاكليين وچون، حسبي الله ونعم الوكيل، ربنا سوف ينتقم منكما، وأجابهما چاكليين وچون، الثقيل لسه جاي ورا.. بعدها جاءني اتصال تليفوني من فاتن، ولم أستطع أن أعرف ماذا كان يدور بينهم من حوار. فسألها: "هل لديك من أقوال أخرى؟" فأجابته: "لا". فطلب منها الانتظار، خارج المكتب، وطلب حضور عزيزة، حتى يتم استجوابها.

بدأ وكيل النيابة التحقيق مع عزيزة وسألها: "اسمك؟  
وسنك؟ وعنوانك؟ ومهنتك؟". فقالت: "عزيزة عادل فودة،  
خمسة وثلاثون عامًا، ليسانس آداب، لا أعمل، أقطن  
مع أسرتي، الطابق الثالث من عمارة والدي".

ومنذ اللحظة الأولى، لاحظ لونها المائل إلى  
الشحوب، ونظرة عينيها المغمورتين بالدموع والحزن،  
فكرر السؤال نفسه، الذي طرحه من قبل على حبيبة:  
"ما نوع العلاقة بينك وبين ليلة؟" فأجابته بسرعة البرق،  
وعيناها تحدقان، وتضغط على أسنانها: "بغير منها،  
على حب وعشق نور لها، وأنا اللي قلبي كان يريده،  
وذهني يفكر فيه ليل نهار". وفرح وكيل النيابة على أن  
التحقيق طاب وحلا بهذا الاعتراف، «الغيرة» مصدر  
الجرائم والخراب. فصمت بضع لحظات مندهشًا من  
كلام عزيزة، التي تتحدث عن الغيرة، كما لو كانت ليلة  
صديقتها أو جارتها، وليست أختها من أم أب واحد.  
وكانت عيناه ترسلان نظرة عميقة، فتستقر على وجهها  
المصفر وكان يلاحظ.. ارتباكها واضطرابها.. وسألها

وهو يضع يده على كتفها الهزيل: "هل انتقمْتِ لنفسك بقتلها ليلة صباحيتهما"؟ واستطرد قائلاً لها: "عندما خطب نور أختك وعُقد قرانهما، اشتعلت نار الحقد في قلبك لأنه كان شاباً ذا عفة واستقامة وطهر لم يجتمع مثلها لشاب، وكان قلباً مخلصاً ينشد الدين والخلق القويم". فأجابته: "نعم، هو كان يتمتع بذلك، وأكثر، ولكنني لم أفكر لحظة أن أؤذيها"، فقال لها: "أنا لم أقل نهائياً كلمة أذى، أنا لست مسطوولاً، أنا قلت هل انتقمْتِ لنفسك بقتلها ليلة صباحيتهما"؟ ولكن ما إن انقضت ثوانٍ قليلة من سؤال وكيل النيابة حتى دوى بكاء رهيب، لا يمكن أن يكون صادراً إلا من ارتكب إثماً كبيراً.. وبدأت تقول بمرارة، وكان صوتها خافت: "نعم أنا الجانية، نعم أنا المذنبة، نعم أنا الخاطئة! أنا حياتي باردة كالمخزن الذي لم يوّث أي نافذة.. أنا حياتي مللة، ذلك العنكبوت الأسود الساكن، الذي يغزل نسيجه في كل ركن من أركان قلبي! كان الأهل والجيران والصدقات يعجبون بأدبي وثقافتي.. ولكنني كنت أحترق بالشهوات،

والبغضاء"! وكان صوتها يتغير، فهو تارة غير مفهوم، وأخرى حاد.. وقد يسري فيه فجأة خمول ينتهي به إلى ما يشبه الهمس حين توجهت إلى وكيل النيابة، قائلة: "أنا حامل في الحرام، ثم صمتت، وكررت أنا حامل في الحرام.. وأي حرام؟! وانتظر وكيل النيابة، بصبر نافذ وآذان منتصبه؛ «اعتراف عزيزة، بخطأها مع نور، ثم اعترافها بعد ذلك بجريمة قتلها، انتقاماً لشرفها».. ثم بعد ذلك، انقلب صوتها صراخاً ضعيفاً.. لأنها لا تملك ما تحتاج إليه من قوة، وعيناها تحدقان في ذلة وانكسار! قائلة: "إن صاحب هذه المعصية هو خالها (حازم)، الذي يكبرها بخمسة أعوام.. الذي اعتاد على ملامستها منذ عام!"

ساد الصمت مدة عشر ثوانٍ، وكان وكيل النيابة في ذهول، فاعتراف عزيزة نزل عليه كصاعقة! وسألها في غضب، كيف ومتى حدث ذلك؟ منذ مرور عام تقريباً، وفي يوم مثل هذه الأيام الباردة، دقت الساعة الكبيرة في الصلاة معلنة الساعة مساءً، وأقعدني الكسل

والدفع وأنا غائصة تحت فراش سريري، وكانت أُمي وليلة مع نور في مدينة دمياط، لشراء بعض من الأثاث.. وأبي المريض، نائمًا في غرفته.. طرق خالي الباب، ثم دخل، وقال لي بصوت حنون: "أنت نايم من البرد يا جميل؟" فأجبتُه: "نعم، وطلبت منه أن يجلس بجانبني على السرير، ويحكي لي ماذا فعل في يومه من مغامرات". ففي ذلك اليوم كان مزاج خالي (حازم) عاليًا وفي السحاب، كما يقولون أهل المزاج، من متعاطي البانجو والحشيش، فهو من خمس سنوات، عاشر رفاق السوء، وأدمن المخدرات، نتيجة البطالة، فهو حاصل على ليسانس حقوق، ولم يجد أي وظيفة.. ولبثت حياته مقفرة موحشة، وعقله في ثورة دائمة. كان صاحب فلسفة استعارها من عقول متخلفة وملحدة لتوافق هواه وظروفه.. الحرية كما يفهمها هو، وكما أقنعني بها؛ هي التحرر من كل شيء، من القيم والمثل والعقائد والمبادئ التي يقيدهم الدين والعلم والأخلاق، إن هؤلاء الثلاثة، أكبر أكلوبة في الدنيا، لا يجني من ورائهم المرء إلا

الضياع.. لبث وكيل النيابة صامتاً، وراح يبتسم ابتسامة السخرية والهزاء، وقال في نفسه: "استغفر الله العظيم". وعاودت السرد قائلة: "وفجأة انقطعت الكهرباء، وأصبح ظلام الحجرة دامساً، وفجأة كانت جراً جهنمية تتبعث من داخلنا، على نحو شهواني مشجع، حتى أن خالي أحس بالضعف، تحت تأثير إرادتي الصامته التي شجعتة، دون خوف، أو تردد!"

ضرب وكيل النيابة جبهته وهو يصيح قائلاً: "يعني منطلق عزيزة والخال حازم؛ اللذة والمتعة بأيسر السبل والوسائل! دون مراعاة لخلق أو دين أو فضيلة! يعني على الدنيا السلام!" فسألها، وهو يقلد نبرات صوتها بسخرية: "بما أن كل شيء تم بإرادتكما، فلماذا تقولين في بداية التحقيق؛ "نعم أنا الجانية، نعم أنا المذنبة، نعم أنا الخاطئة!" فأجابته وهي منكسرة: "زنا المحارم ترك في نفسي ذهولاً، وكنت دائماً أسأل نفسي؛ أيلازمني هذا الحرام أبد السنين؟! أليس هناك من مخرج؟! إنني لا أقل عن أولئك الذين يعيشون في سعادة، واطمئنان..

ولكنني أعترف لم أر في حياتي أسوأ مني.. فأنا أسخط على نفسي.. لا على ظلم القدر". وفكر في نفسه قائلاً: «يا لها من مأساة نادرة، ولكن لا أدري لماذا هذه المرة استوقفتني تلك الحالة، ربما لأن الحمل قد تجاوز الفترة التي لا يسمح فيها بالإجهاض، ولكن ولا بد من أن يكون هناك جهد أكبر، لا أدري.. لكن الذي أدركه تمامًا أنه لا بد من أن يكون هناك جهد مشترك من الجميع لمواجهة هذه الكارثة المروعة الموجودة فعلياً في مجتمعاتنا، والتي اسمها زنا المحارم»، ثم لبث واقفاً، بضعة دقائق، وقلبه يزداد حزناً على ضياع القيم والأخلاق، ودقت الساعة العاشرة صباحاً، وأصبح وجهه شاحب اللون، وكان في حاجة إلى قسط من الراحة، حتى يستعيد نشاطه، وأغلق باب التحقيق، ليحتسي فنجاناً من القهوة.

وكانت المنطقة، مليئة بجو جنائزي. وعند وصول أسر الفقيد إلى منزل والد العروس، الذي كان مشلولاً في كرسيه المتحرك، فالمحنة واحدة، كان يسكب فيضاً من الدموع، ويصافح الأيدي دون أن يستطيع الكلام.

والأهالي والجيران والأصدقاء جلسوا بعضهم إلى جوار بعض، في شكل نصف دائرة كبيرة، في الصلاة، والوجوه منكسة، والأفخاذ مثنية، والسيقان ترتعش، وهم يرسلون من وقت إلى آخر تنهدات كبيرة، وكل منهم ينتظر بفارغ الصبر طلوع النهار، ومعرفة ما توصلت إليه التحقيقات، وما قاله تقرير الطبيب الشرعي ودفن الجثتين لإكرامهما، فإكرام الميت دفنه.. وكان نباح في الشارع مستمراً يتتابع في ناحية ما. وقال أحد الموجودين: "أنا سمعت، أن الكلاب تشم رائحة الموت، وهي كالنحل تنطلق من الخلية عند موت الأشخاص". ورد عليه آخر، قائلاً ووجه محتقناً ومقشعراً من هذا الفال: "على كدا، كل اللي في المنطقة سيموتون... فما أكثر نباح الكلاب!" وفي تمام الساعة الحادية عشرة، استأنف وكيل النيابة التحقيق، وكان المطر يتساقط، والجو بارداً، فطلب من عامل البوفيه، فنجائاً آخر من القهوة فكان يشكو من صداع، بعد نوم مضطرب لم يرحه قط. لقد أفاق متعكر المزاج، عصبياً، غير سوي، ورمى نظرة غضب إلى



فأجابه: "تمام يا باشا"، ثم أكمل وكيل النيابة حديثه قائلاً: "وچاالكين سر ليلة، وليلة سر چاالكين، ونور وچون حبايب من الصغر، تمام يا چون.."، فأجابه بكل ثقة: "والمسيح تمام يا باشا".

وبدا وكيل النيابة يقفز تارة نحو النافذة، وتارة نحو المكتب وبعد لحظة، وقف أمام چون وهو يحدق مباشرة في عينيه، قائلاً: "فيه بعض الشهود، أثبتوا، مقابلتكم الشخصية والسرية، في منزل العروس، وأكدوا وجود مناقشة حادة بينكم أنتم الأربعة، أدت إلى أن العروسين فوضوا أمرهما إلى الله فيكما أنت وچاكي في الوقت نفسه، وأنت وچاكي أخبرتكما الثقيل لسه ورااا! فتار قائلاً: "عرفني ما هو الثقيل!؟" فلاحظ أن چون كان يحاول أن يتفادى نظراته، وأراد چون على أن يعترض، ولكنه تفكر في الأمر، فأحجم.. خوفاً من أن يستدعي وكيل النيابة چاالكين وينفضح أمرهما.. ثم قال: "كانا نور وليلة فوضوا أمرهما إلى الله، من قرار الهجرة إلى كندا، دون معرفة الأهل.. أما عندما

كنا نقول أنا وچاكليين، الثقيل لسه ورا.. المقصود كان هو سرقة محل والدي.. فنحن رأس الأفعى المخططة! فابتسم وكيل النيابة ابتسامة سخرية وقال: "نعم، سرقة محل الذهب، وأنت كنت ضحية الحرامية، ونالك منهم ضربة على الرأس.. وتحرر محضر بذلك!" وبدأ چون يحكي متأثراً بما فعله في حق والده، دون أن يقحم نفسه في تستر لا معنى له؛ إذ إنه بعد مقتل صديق عمره وعروسه، أصبحت الحياة مظلمة كئيبية، قائلاً الكل يعرف بأن (چاكليين)، هي حلم عمري فكانوا يلاحظون أن وجنتي تتوردان عندما أنظر إليها، فهي فتاة جميلة ورقيقة، وقد تعدت سن الزواج، بسبب انتظارها لي، وهذا الانتظار بسبب والدي الذي كان يرى والد چاكليين وضيقاً بعض الشيء لا يتمثل فيه النسب الذي يتمناه، غير أن كان يعرف عنه حسن السلوك والتعليم.. وفي ذلك الجو المشبع بالغضب والحقد، قررنا أنا وچاكليين، أن نسرق محل الوالد، وبعدها نهاجر إلى كندا، عند خالة چاكليين، الخالة (مريان)، فهي تعيش هناك منذ

ما يقرب من أربعين عاماً مع زوجها، ولديهما مطعم هناك.. وعندئذ، طلبت من چاكليين أن تترك لي التفكير والتخطيط، واختيار الوقت المناسب. وفجأة دار في خلدي أن الساعة قد حانت، عندما ذهب والدي المقدس (تادرس)، من أجل أن يقضي يومين في كنيسة السيدة دميانة، فكان والدي يعشق الاسترخاء التصوفي الذي ينبعث من عطور الكنيسة، وأضواء الشموع، وفي أثناء ذكره لاسم السيدة دميانة، قام چون برسم الصليب على صدره، وهمهم بهذه الكلمات قائلاً: (توبة ام ابشويس اهري ايجون، او تي شيليت ام بي أخرستوس، تي أجيا دميانة، انتيف كانين نوفي نان ايفول)، فليسامحني الرب والسيدة دميانة العفيفة الطاهرة، ثم أكمل قائلاً: "وقمت بتأجير ثلاثة بلطجية لاقتحام المحل، في أثناء تواجدي به، فنتكر أحدهم بزي منتقبة، والآخران ملثمين، واتفقت معهم أن يهددوني بالسلاح الأبيض، ويقومون، بسرقة ٥٠٠ ألف جنيه وبعض المصوغات، ثم يفرون مستقلين سيارة خاصة، بعدها قمت بضرب رأسي في لوح زجاجي

عقب فرار البلطجية، لتضليل والدي ورجال المباحث وإبعاد الشبهات عني، ثم ركع تحت قدم وكيل النيابة، وطلب منه أن لا يستدعي چاكلين، فهي ليست لها يد ولا تعرف أحدًا من هؤلاء البلطجية.. فأجابه بسخرية واستهزاء: "لك الأمر والطاعة.. ولكنني سأستدعيها من أجل جريمة قتل العروسين... مبسوط يا چون؟"

في ذلك الوقت، كان بعض من الأهالي والجيران أمام المستشفى، ينتظرون تصريح الدفن، تائرين من عدم وجود طبيب في المستشفى، إلا عدد ضئيل من الممرضات! وكانت والدة العروس ووالدة العريس جنبًا إلى جنب، على الأرض، أمام باب المشرحة والوجوه محتقنة، والجبين مقطب، بعد فرحة لم تستمر إلا ساعات! وقد التقيتا في نفس الضعف البشري دون أن تتحركا، أكثر من الجثث الموجودة في ثلاجات المشرحة.. وتقول والدة العروس بطريقة هستيرية وبصوت متلعثم فزع: "هم مستعجلين على إيه؟ أنا نفسي أحتفظ بهما"، ثم تضرب على صدرها، قائلة: "يا حبايبي يا بناتي، فهي

كانت تقصد موت ليلة مع ضياع بناتها الأخريات.. فكان قلبها ينبض ويحس، بأن هناك مصائب وخفايا، سوف تصل إليها التحقيقات مع بناتها، ويُفصح أمرهن! بينما والدة العريس، كانت أكثر رزانة وهذوء، ثم قالت: "كلهم بناتنا، وأولادنا، فنحن في سفينة واحدة غارقة في ظلمات الموت"، وبدأت تتذكر حنان وعطف ابنها نور، فكان نعم الابن، وبدأ شريط ذكرياتها معه، يسير كخيوط موسيقي.. كوجع ناي حزين.. كآلم تعجز عن الإفصاح عنه.. إلا بذرف دموعها! وحاولت أن تصف لنفسها، موت الغدر، موت المفاجأة.. لحظات ما بين حضوره الدائم بيننا بكل الحواس... وبين رحيله عنا كحلم... فقد رحل.. وبقيت لنا الحسرة.. لنا الله بعدك يا ولدي..

في أثناء ذلك الوقت، قد بدأ وكيل النيابة التحقيق، مع مدام غادة، صاحبة الصالون، وكانت في الخامسة والأربعين من عمرها، بارعة الجمال، وقد امتازت عن الأخريات، بثيابها البديع، مثل فنانات السينما، ترتدي معطفًا أسود من القطيفة، وفي يديها قفازان حمران،

وتتعطر بأجمل الروائح العطرية..

سألها وهو يطمش شفثيه عند كل نفثة دخان: "هل تعرفين نور؟" فأجابته بابتسامة هادئة، وصوت ناعم: "طبعاً أنا أعرف نور وليلة كمان، من أحسن الشخصيات التي تعرفت عليها في حياتي".

فقال لها، وهو يستنشق رائحة عطرها التي تفوح وتنتشر في المكتب: "من الطبيعي ومن الوارد أنك تعرفين ليلة، فهي جارتك، وإحدى زوناتك، لكن.. نور!" ثم صمت قليلاً، فكانت مدام غادة تفتنه بجمالها، وبأريج عطرها، الذي كان يحار في التكهن بمكانه، أهو ملابسها، أم جسدها؟! ورددت عليه متسائلة: "ماذا به نور؟"

فتوجه إليها مرتباً لأنه قد ترك العنان لعواطفه أمام زينتها وجمالها، فاختل توازنه، وانكفاً لونه، وارتجفت أوصاله، وكاد يفقد رشده، ولكن بسرعة فائقة، عاد إلى ثوابه وسألها: "أكدت التحريات والشهود، عن مشاجرة بينك وبين نور، قبل زفافه بيومين، فما سبب هذه المشاجرة؟"

فأجابته وهي تركز في عينيه، وبمنتهى الرزانة: "أنا طبيعتي لا تحب العنف والمشاجرات، فليس لهما مكان في قاموسي الشخصي، وإذا حدث ذلك، ممكن نسويه حوار بصوت عال، اتفقنا؟" فأجابها وكاد يعض شفتيه: "اتفقنا"، ثم اقترب منها وقال: "الحوار الذي كان بصوت عال مع نور، كان سببه زيونات المحل؟ ولا كانت هناك علاقة من علاقات العشق والهوى بينك وبينه، ثم تخلى عنك، فانتقمت بالقتل.. لا داعي للإنكار!"

ونظر إليها فلاحظ صدرها يمتلئ ويتصلب كالأفعى بهذه التساؤلات.. فأجابته: "أنا عندما أعشق، لا أقتل، وعندما أكره أيضا - لا أقتل، فالحياة حياة، يجب أن نستمتع بها، فهناك أساليب أخرى سهلة غير القتل. واستمرت في حديثها، ودمائها تلتهب وتحرق عروقها جميعًا، وقالت: "جاءني نور، ووجهه يثور بالغضب، وقال لي؛ سأذهب إلى الشرطة، لكي أبلغ عنك، وسأغلق لك هذا الصالون. فأجبتة: خير يا نور، هل أنا، أو أحد من العاملين أو العاملات، أساء لك بشيء؟ فرد قائلاً:

الإساءة ليست لي شخصياً، ولكن أنتم، ستوسخون سمعة المنطقة! لقد لاحظت أكثر من مرة، دخول الشباب إلى الصالون، والجميع يعرف أنه صالون للحريم.. ثم طلبت منه أن ندخل المحل، من أجل أن يشرب فنجان قهوة، وطلبت منه الهدوء ولكنه رفض، ثم أشار لي بسبابته، مزمجراً، ويقول أنا مش دائق عصافير يا مدام عادة! دلال حامل، والكل عارف إن زوجها، بأنه ليس فيه للنسوان.. عمي (مجدي)، الرجل البسيط الغلبان، يشتغل في الصالون، من أجل لقمة العيش، ولكن الفأر بدأ يلعب في عبي لما رأيتها ثلاث ليالي متتالية، تأتي إلى الصالون، في وقت متأخر، وكنت تستقبلين، بحفاوة شاباً ليس من أهالي المنطقة، ودخلت دلال إحدى غرف الصالون ومعها الشاب، وأنت تتركينهما وتغلقين الباب عليهما بالساعات.. ثم سألته بسخرية، لماذا لم تذهب إلى زوجها؟ فالمنطقة كلها تعرف أن (دلال)، إنسانة غير سوية، تستخف نجم زوجها، وتضحك عليه بإعطائه حبوب منومة، بدلاً من دواء الضغط والسكر، حتى

تشبع رغباتها مع (حمادة)، الشاب ذو العضلات البارزة في بطن ذراعه وده واد لعبي يبيع الأفلام الممنوعة للمراهقين، والمعروف باسم (الحتة الزفرة للمنطقة)، وكان يقابلها خلسة على السطوح، بعد انتهاء وريدته في المقهى، واعتادت (دلال) على مضاجعته! ثم طلب مني نور، أن أتستر على دلال، بعد أن استغاثت هذه الأخيرة به، وبعدها طلب مني أن أبحث عن مكان آخر للصالون بعيداً عن المنطقة.. وفي تلك اللحظة، كنت أتسم بالهدوء والصبر، وطلبت من نور، إعطائي فرصة لمدة شهر، حتى أجد حلاً أساعد به دلال، وأعطي لنفسني الفرصة للبحث عن مكان آخر للصالون، وطلبت منه عدم الفضيحة، وبالفعل حفظ العهد حتى يومنا هذا، بعد أن لقي ربه.. فموته كان نجاة له من وقوع مصيبة حتمية، كنت أنظمها له ولعروسه، في ليلة الصباحية، بمساعدة الحاج درغام، من أجل إزاحة الجميع عن طريقي! ثم قالت: "أولاً، أخذت (دلال) وذهبت بها إلى طبيب معروف متخصص في الإجهاض، واتفقت معه

على فعل شيء لم تكن تتصوره، أن يضاجعها مقابل التخلص من الفضيحة، فاستسلمت ووافقت لهذا الطبيب الشيطاني". وجاء دور إعداد مصيبة نور وعروسه والحاج درغام!

فرد عليها قائلاً: "يا ستار يا رب، أي مصيبة؟" ثم عاد وقال لها مندهشاً: "هل تقصدين الحاج درغام رجل البر والإحسان"؟! فأجابته وهي تسخر من هذا الاسم: "نعم، رجل الشر والحرمان"؟! وأصبحت نبرة صوتها قاسية، وارتسم على ملامح وجهها الكره والغضب من درغام، صاحب الوجه السمين المحمر، الذي يبدو وكأنه طلي بنقيع حامض من "الكركيه"، والأكثر من ذلك، قد زاده شعره الأبيض، ونظرات عينيه السوداوين الصغيرتين حدة ودهاء! ولم يكن ثمة من يدري ماضيه، فهناك من يقول إنه كان بائعاً متجولاً، بينما يقول آخرون إنه كان يتاجر بأساليب تجارية غير مشروعة سمحت له بامتلاك أفخم محل للملابس، الذي كان أهلاً لأن يجتذب "السيدات الأنيقات"، ومن بينهم، أنا طبعاً، فكنت

أخذ أرقى الأزياء، دون دفع نقود، وكان الحاج درغام، يقول بأن النقود ليست مهمة، فكنت أقوم بتعويضه بالبديل؟! ثم استكملت حديثها قائلة: المهم، درغام كان معروف لي بحنكته، وواضح أمامي كالشمس، فلا يقدر عليه أحد من خصومه، ومن المعروف عنه أنه قليل الوفاء بالعهد، ولم يكتف خلال حياته الطويلة بالكسب الحرام، بل لم يتورع عن أن يسطو على أعراض النساء والبنات؟! وقالت وهي نادمة، فأنا كنت حلقة الوصل بينه وبين هؤلاء النساء وكنت أقوم بدور البطولة فيها؛ حيث أجريت اتفاقاً مع درغام على أن أقوم بتصوير زبونات المحل عن طريق كاميرات مخفية مقابل مبالغ مالية، وكنت أضع الكاميرات في غرفة تجهيز العرائس؛ حيث يقمن بنزع ثيابهن، وكنت أوجهن إلى الكاميرات بحجة الإضاءة وعدم الرؤية، وكنت آخذ الأشرطة وأعطيها له من أجل أن يشاهدها بجلساته الخاصة، هو ومن معه، فكان يسيل لعابهم. وهذا أيضاً ما كنا نرسمه ليلية عروس نور، وقالت ذلك، في انفعال شديد، وكادت أن

تنفجر لتنفس عن صدرها الكظيم، انتقامًا من هذا الرجل السمين درغام، الذي كان يتاجر بأعراض النساء، وهي كانت أولهن! ولكنه كان يتغير، ويصبح إنسانا لطيفًا، حنونًا، عندما تأتي سيرة ليلة، فهو كان يعشقها، ولكنها فضلت عليه نور... وتستمر في كلامها وطلبت من وكيل النيابة، أن يسمح لها بالتدخين؟ ثم قالت: "ذات يوم قال لي درغام، وهو يلهث كالكلب، أريد أن أُنالها.. وبأي الوسائل، ولكِ عقار جديد. كم أنا أريدها، إن لها في الحقيقة عينين تخترقان قلبي كالرصاصة ويا لشحوب بشرتها، إنني أعشق الشاحبات. وكان يبكي مثل الطفل، ويقول بصوت مخنوق: اقطفها لي.. وتبسمت وأنا قلبي يشتعل حرقه، لأنني كنت أريده لي، ليس حبًا له، ولكن طمعًا في ثرائه، ثم قلت له: "هل أنت متيم بها؟" ولم أكن أحسب أن حبه لليلة يصل إلى هذا الحد، لكن درغام الذي يبذل النساء كما يبذل الحذاء، كان يجلس أمامي الآن، وجهه مُربد وجفناه يرتعشان، وقد عض شفته السفلى حتى كاد يقطعها، أخذ يتململ في مقعده وينقر الأرض

في عصبية بالغة بعصاه، خلع حذاءه من رجله اليمنى ولبسه عدة مرات، وكان يتأهب للقيام ثم يجلس، ويفتح فمه كأنه يريد أن يتكلم ثم يسكت، ثم قال، وهو يدمع: "آه ومن يدري!" وانتهى اللقاء على اتفاق جهنمي بيننا، هو أن أذهب إلى العروسين ليلة صباحيتهما، وأبارك لهما، وأشكر نور على رجولته واحترامه لكلمته، وأخبره بالكذب، أنني وجدت مكانًا جديدًا، ثم أظاهر بالمرض، مدعية وجود مغص كلوي وأطلب منهما مساعدتي لأذهب إلى بيتي فالكل يعرف أنني أعيش وحيدة في شقتي، وكنت متأكدة من شهامة نور وطيبة ليلة، التي لا تتركني في محنتي حتى الصباح. بعدها أسقي ليلة عصيرًا به منوم، وبمجرد أنها تشعر بدوار وتفقد الوعي، كنت سأصل بدرغام هاتفياً، لينال منها! وكنت سأقوم بتصويرهما، وبذلك كنت سأضرب عصفورين بحجر، إخراس نور، وفضيحة درغام.. ثم تمتعت وقالت: "كم أنا إنسانة جبانة وحقيرة.. ما ذنب نور وما جريمة ليلة لأنتقم منهما!" ثم رسمت ابتسامة على وجهها وأحنت رأسها

وهي جالسة، وقد أسندت ظهرها في تراخ واستهانة، وقالت بلهجة مطمئنة: "إنه ليوم عظيم في حياتي، يوم أن اعترفت بخطيئتي، وانفجر هذا المستودع الساكن في نفسي، وتصاعد لهيبه حتى حرق من أذاني وتسبب لي بالعذاب، وكان المقصود فضيحة درغام.. بعد ذلك أمر وكيل النيابة، بانصراف مدام غادة، واستدعاء الحاج درغام وچاكلين، وباقي أهالي العروسين، للتحقيق معهم. ثم دقت الساعة الثانية عشرة ظهرًا، إذ لاج إلى وكيل النيابة كل شيء ملثفًا في جو أسود وغامض، ثم سأل الضابط (أشرف مراد): "هل حضر والد العروس؟" فأخبره الضابط، بمرضه، فهو عاجز، قعيد في غرفته، لا يستطيع الحركة منذ عام مضى، ثم قال وكيل النيابة وهو في حالة استغراب: "أزاي الكلام ده! هو أول من أشارت إليه أصابع الاتهام، حسب ما ورد في التحقيق مع زوجته". وأصر على الذهاب إليه، ولكن بعد أن يصلي الظهر، وقال للضابط وهو يبتسم: "من المفروض أن أتوضأ بعد الكلام مع مدام غادة، وإن كان بإيدي آخذ حمامًا دافئًا".

وتوجه وكيل النيابة إلى منزل والد العروس، وعندما دخل الشارع، بسيارة الحكومة، ذات السرينة العالية الصوت، أحس شريف بيه، أنه يستنشق هواء باردًا، محمل بنسمة خانقة، وأوشك المطر أن يتساقط.. فانظر لحظات وهو يحدق بنظره للعمارة التي يسكن فيها والد العروس، كانت مزينة بمصابيح مظلمة، التي انتزعت منها الحياة والنور، فأصبحت كالقبور.. ثم صعد إلى الطابق الثالث من العمارة، وهم بالدخول إلى الشقة، التي يفوح منها عطرًا جنائزيًا، وضوءًا أصفر خافضًا، ولم يكن هناك إلا عدد قليل من النساء والرجال، فالكل ينتظر تصريح الدفن أمام المستشفى.. وعندما دخل غرفة الحاج عادل فودة، وجدته وحيدًا وراقدًا على فراش الموت. إنسانٌ تكالبت عليه الأسقام والهموم، ومصابٌ بسرطان في الرئة والعظام، وكثرت مراجعاته للمستشفى عاجزًا عن الحركة!

وقف وكيل النيابة لحظات يفكر في نفسه، ماذا أقول له، وعن ماذا أسأله، وبما أتهمه؟! فلاحظ أن

الحاج عادل، يشير إليه بيده، أن يجلس بجانبه، فوق السرير، وقال له، وهو غير قادر على الكلام، يقول كلمة، ويسكت عشرة: "أنا عارف من يتهمني؟" وبصمت ثواني إنها أشجان زوجتي وأم بناتي، غلبانة هي وبناتها، استحملوا فوق طاقتهن معي.. ثم أصدر تهيدة طويلة بها يأس مميت، ثم قال: "ربنا يمهل ولا يهمل، فقد ابتلاني بالأمراض، وابتلاني بأخذ نور عيني ليلة، أم أبيها، كانت هي التي تصطحبني عند كل مراجعة إلى المستشفى، كانت الصدر الحنون، اللي أستند عليه، وهي منهمة الدمع، تناشدني أن أتحلى بالصبر والرضا".. وفي أثناء حديثه، أصابه سعال شديد، جعله يبصق دمًا! ورأى وكيل النيابة، أن من واجبه، أن لا يزيد من أسئته، نظرًا لحالته الصحية المتدهورة، ومصيبته في وفاة ابنته، وفضيحته في المستقبل بسبب حبيبة وعزيزة... إلا أن شيئًا خطف نظره! مخلوقة صغيرة وجميلة أحسها بجانب الحاج عادل فودة.. وعندما نظر إليها أسرته بعينيها الخضراوين اللامعتين! يتابعها وهي تحنو بخفة ورشاقة

على الحاج عادل، وكأنها ابنته التي تواسيه في محنته! وسأل نفسه، وهو يختلط في غموض مع ما يحيطه من أشياء وسط الصمت والبرد: "أتظن أن هذه المخلوقة الضعيفة قادرة على مواساة هذا الرجل في ابتلائه!" يا الله! يا لهذه المخلوقة الحنون، تصر على أن تكون بجانبه وهي تبدو مطمئنة في جلستها معه! عجيب أمر هذه الهرة، لم تدمع دمعة واحدة تفضح لنا حزنها! لم تحاول استمالتني نحو ضعفها وأنا الأقوى والأشد، بل بدت أمامي رغم أنفي! إنساناً في أسمى حالاته.. إنساناً خلا من الخيانة، والطمع، والزنا، والسرقعة، والكذب، إلخ. إنها حقاً نهاية مأساوية لأب جاحد.. ذهبت صحته، وضاعت بناته! فقام بإسدال الستار على نافذة الغرفة.. وعندما نهض ونهياً للخروج، سمع صوت امرأة، يأتي من الشقة المقابلة لشقة والد العروس، هذا الصوت يصرخ ويقول: "أنا سأسجنك، وسأعترف بما شاهدته.. يا حيوان، يا سافل، يا واطي!"

فانتظر وكيل النياحة لحظات، ثم طرق باب الشقة،

فتحت له الباب، امرأة عصبية المزاج، حادة اللسان، ترتدي عباءة سوداء، وتربط رأسها بطرحة سوداء، ثم قالت له بصوت عال: "أفندم أنت كمان من زبائن البيه؟" فأجابها: "لا أنا من زبائن الواطي.. السافل"، وأمر من معه من ضباط ومحضرين، أن يأتوا بها، هي ومن معها إلى القسم للتحقيق..

وعندما وصل إلى القسم، كانت الثالثة عصراً، وبدأ يسأل بسرعة جنونية فقد نفذ صبره من هذه القضية، التي تفتح فمها لجرائم أخرى باطنية: "ما هو اسمك؟ وسنك؟ ووظيفتك؟". فأجابته بأسلوب فيه كبرياء، وتحت تأثير نفسي حزين ومميت: "هو أنا في محكمة! اسمي راوية سالم العريان، أربعون سنة، ربة منزل، أسكن في الشقة المجاورة للحاج عادل فودة، بالطابق الثالث". وتوجه إليها قائلاً: "لقد سمعتك وأنتِ تقولين أنا سأسجنك، وسأعترف بما شاهدته.. يا حيوان، يا سافل، يا واطي!" وكان يحسس بيده على ذقنه، ثم سألها ماذا شاهدتي وماذا تعرفين؟ فطلبت منه أن يسمع قصتها من البداية

قائلة: "أنا كنت في الماضي أتمتع بالجمال والجاذبية، وكان بي شيء من الغرور، نتيجة الإطراء وعبارات المدح التي كنت أسمعها ممن حولي وكلها تدور حول شيء ليس لي يد فيه ولا دور ألا وهو الجمال، غير أن أيًا من تلك العبارات لم تكن تثني على خلقي أو ذكائي أو حلمي، فقط انصب اهتمام الآخرين بجمالي، وكنت أطرب حقًا لتلك العبارات وتكفيني وتشبع نفسي بالسعادة. فكنت أدلل نفسي أمام زوجي وكان لشدة إعجابه بي يبتسم لي حين يجد راحتي في مواضع الدلال، لكنه في قرارة نفسه لم يكن مقتنعًا بهذا المبدأ. أنجبت (عمر) وأنا في حياة مليئة بالحب المتدفق من زوجي، والرغبة في الدلال الدائم من جهتي، ومثل كل الخلافات الصغيرة والمشادات العابرة التي تحدث في كل البيوت، كانت تعتري حياتي، بعض لحظات التعكير والشوائب، التي كنت أتجنبها، لأنني كنت على قدرٍ من الوعي الذي يستطيع إيصال السفينة إلى بر الأمان إلى أن فقدت ابني الوحيد، السنة الماضية، الذي لقي مصرعه، عقب

قفزه من السطوح لرسوبة بالإعدادية، كان يخشى عقاب والده له بالضرب، وتنفيذ تهديده له بأنه سوف يطرده من البيت، وقام ابني فلذة كبدي بتوفير العقاب والطرده وانتحر، وتركني في مأساة ومعاناة حقيقية.. فمنذ موت ابني لم يُسمع في الشقة صخب كهذا الصخب، الذي سمعته أنت، كانت النار مختفية تحت الرماد منذ وفاته، وكان يحدث من حين إلى آخر أن يقع شيء من الأخذ والرد بيني وبين المعروف أنه زوجي، الذي لم يلمسني ولم يعطني حقي الشرعي في المعاشرة الزوجية، منذ خمس سنوات، ولكنني كنت أتحمل من أجل ابني، الله يرحمه، فأنا مقطوعة من شجرة. وأصبحت أعصابي تتوتر، وكانت دمائي تفور إلى أن طفح الكيل، فانفجرت الصاعقة في هذا اليوم الذي سمعته فيه، وأنا أخرج من بين أسناني جميع أنواع الشتائم واللعنات، إنه لا بد من معاقبة هذا النجس الخائن، ثم بصقت على الأرض! إنني كنت على قناعة بأن زوجي (يسري) يخونني وأنه أصبح بارداً جنسياً بهذه السن المبكرة غير صحيح. وهجره لي

ما هي إلا حيلة عارية، أحيانًا يأتي تعبًا ويريد الخلود للراحة، وأحيانًا كان قلقًا ومشغولًا، لدرجة أنه كان يحمل هاتفه المحمول في كل مكان يذهب إليه في البيت حتى في الحمام، وكان يبرر ذلك بأن هناك مكالمات كثيرة تأتي له من تجار وأصحاب عمل ويفضل أن يرد عليها فور! ولكن مع أن ثقته بنفسه بلغت حد الاعتقاد بأنه خير الرجال ذكاء وظرًا، إلا أن فضحه الله أمامي، في هذا اليوم، عندما طلب مني تجهيز الغداء، وكنت مستعجلة حتى أذهب إلى أهالي العروسين في المشرحة، فأسرعت للذهاب إلى المطبخ، ولسرعتي فتحت باب الثلاجة بقوة فوقعت علبة البيض التي كانت في رف الثلاجة على الأرض. وفُجئت بوجود (المحمول) على الأرض، فقامت بتظيفه، فكان سابقًا في زلال البيض، وتصفححت هذا المحمول في ثوانٍ دون أن يشعر هذا المدعو إلى اسمه زوجي واكتشفت بالصور والفيديو ورسائل الجوال ممارسته للواط وكذلك الجنس مع نساء حتى في شهر رمضان الكريم! وأحسست بانهييار ولا أكاد أصدق ما

شاهدته من فيديوهات على جواله. وقمت بتهديده، كما سمعت.. ثم أعطت وكيل النيابة، الهاتف المحمول، وكانت رائحته عفنة من آثار سائل البيض.. وطلبت منه القصاص لابنها، والخلع لها، والسجن لزوجها! فأجابها وكيل النيابة مؤكداً: "نعم، نعم".

في تمام الساعة الخامسة مساءً، قد وصل تقرير الطبيب الشرعي إلى وكيل النيابة؛ حيث انتهت مصلحة الطب الشرعي من تشريح الجثتين، وقال التقرير المبدئي للطب الشرعي إن وفاة العروس حدثت نتيجة نزيف حاد مميت وتمزق في أعضائها التناسلية تعرضت له إثر زواجها.. بينما وفاة العريس، نتيجة تناوله جرعة زائدة من الفياجرا، أدت إلى خفقان في قلبه ودقات سريعة، مصاحبة لقيء كما لو كانت أعراض تسمم. بالإضافة إلى تعرضهما إلى اختناق من غاز سخان الحمام.. وعدم وجود شبهة جنائية.. وسرعان ما أمر وكيل النيابة بتسليم الجثتين لذويهم، وإعطائهم تصريح الدفن، ثم ارتفق نافذة المكتب، ملقياً ببصره إلى الشارع ومتأملاً

رذاذ المطر، وكأنه يخاطب نفسه في حيرة قائلاً: "إنها شهوات الجسد؛ السرقة، والحدق، وجشع المال، وزنا المحارم..."، اختلطت جميعاً لتسرد لنا ظلم أنفسنا لبعضنا وظلم المجتمع لنا. ثم ذرف دموع الحسرة على واقع بناتٍ ونساءٍ.. كل واحدة منهن تحمل في ذاكرتها حكايات عدة من معاناة وقهر. قررن أن ينفجرن ويُعلنن العصيان ضد ظروف معينة، فكان مصيرهن الضياع وسقوط أحلامهن في بئر الحرمان. فحدث نور وليلة، كان سببه الرئيسي، الأفراح والأشجان الممزوجة بكل المتناقضات، في زمن تاهت فيه القيم والأخلاقيات، والجاني هو نحن فلا مستقبل لمجتمع نصفه الآخر مكبود ومكبوت!

وفي النهاية شارك حشود من الأهالي والأصدقاء والجيران، عقب صلاة العشاء في تشييع جثمان العروسين، وإنهاء حياتهما قبل أن تبدأ، وتحويل فرحتهما إلى مجرد حلم عابر، بزفة جديدة لحياة أبدية جديدة، وسط نواح وبكاء في مشهد جنائزي مهيب، شهدته أعداد

غفيرة، تراحموا لحمل النعشين الصامتين للعروسين، فكانوا يسيرون في وسط الطريق وكان الشارع مقفراً في هذه الساعة الشتوية من الليل، كان لا يبدو عليهم أنهم عابئون بالمطر، كانت أحذيتهم تقرع أرض الشارع. واقتربوا من أحد المصاييح فانتصبت أشباحهم وتطاوت كثيراً، ومن سوء حظ بعض الرجال الذين يرتدون جلباباً، كانت تتغمس في الوحل ملطخة بالبقع السوداء.

وأخذ الحمالون المتعبون يتباطأون، وأخذ النعشين يتقدمان في دفعات مستمرة كزورقين يعلوان ويهبطان عند كل موجة، ثم تم الدفن، تحت أضواء الكشافات، والدة العروس ترقع على ركبتيها فوق الأرض، وهي تصيح مع السلامة، وصدورها يتصدع من النحيب، وتزحف نحو قبر ابنتها، كأنها تريد أن تُدفن معها! بينما والدة العريس تبكي وتختنق بالشهقات التي تهزها. وفي أثناء العزاء، لزم البعض الصمت، ولزم آخرون الهمز واللمز، ولزم آخرون الحديث، فمنهم المثقف الذي يقول الله يرحمهما، كانوا ضحايا المتعة الحلال، ولكن بطريقة خاطئة، عن

طريق تناول مثل هذه المواد المنشطة جنسيًا، وإذا تم استعطائها تكون في حالات الضرورة وتحت إشراف طبيب مختص، ثم قال يمكن يكون في موتهما، عظة وموعظة للشباب بعدم التقليد الأعمى، حتى لا تتكرر مثل هذه الحوادث.. ثم قال شخص آخر ساخراً: "يا نهار أسود، حبوب الفياجرا تموتهما فطيس كالفئران!" وتقدم الشخص الذي قال هذه الجملة الأخيرة، نحو والد العريس، وهو يصطنع تودداً زائفاً، ماسكاً يده، قائلاً: "اجمد يا حاج!" وقال آخر: "من المعروف، أنه يحب السياسة، وش الرئيس الجديد، هم وغم على العروسين". فرد عليه آخر: "حرام عليك، دا راجل طيب، حافظ كتاب ربنا، وحسن زجاجات الزيت في التموين".. وفجأة عاد إليه مندفعاً بكل ما أوتي من قوة فجبه بضربة في صدره فأسقطه. وأطلق الرجل كلمة آه عميقة، وتمدد على الأرض في ضجة صماء، ولم ينهض. وتحول العزاء إلى مشاجرة كبيرة بين مؤيدي الرئيس الجديد ومعارضيه، أسفرت عن سقوط ضحايا آخرين!

## الكاتبة في سطور:

- علا عبد العزيز رياض من أبناء مدينة بيلا، التابعة لمحافظة كفر الشيخ.
- حصلت على ليسانس آداب وتمهيدي ماجستير من كلية الآداب (جامعة المنصورة) وحصلت على الماجستير بتقدير ممتاز من كلية الآداب (جامعة الزقازيق) من خلال دراسة نقدية تحت عنوان «الجريمة الأخلاقية» في روايتي: مدام بوفاري لـ جوستاف فلوبيير، والحرام لـ يوسف إدريس دراسة مقارنة. كما حصلت على الدكتوراة في الأدب الفرنسي مع مرتبة الشرف الأولى، وكانت الرسالة تحت عنوان «البحث عن الهوية أسبابها وآلياتها» عند ماري ندياي من خلال ثلاث روايا:

«لمستقبل أفضل» الصادرة عام ١٩٨٥م، «في العائلة» الصادرة عام ١٩٩١م، «روزي كارب» الصادرة عام ٢٠٠١م.

- وهي مدرس بالمعهد العالي للغات بالمنصورة.
- كما أنها عضو اتحاد الكتّاب والمثقفين العرب بباريس.

